

التعريف بالكتاب "تيسير الكريم الرحمن في التفسير كلام المنان"

:

. التعريف بالكتاب

هو أحد مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (الشيخ السعدي)، هذا الكتاب يتكون من مجلد واحد، ظهرت الطبعة الأولى منه في السنة 1419 هـ أو 1998 م. يقدم هذا الكتاب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم بأسلوب عصري، سهل، وواضح في الوقت نفسه، وقد جاء الكتاب مرتباً وفق ترتيب سور المصحف الشريف، قواماً بين التطويل والإيجاز مما ييسر اقتناؤه وقراءته للجميع. ومما يميزه: سلامة عقيدته، حيث يتحرى مؤلفه فيه الالتزام بعقيدة أهل السنة والجماعة لا سيما في فهم أسماء الله تعالى وصفاته. كما قدم المؤلف له بفوائد تتعلق بعلم التفسير ولطائف لابن القيم فيه، وطريقته فيه أنه يذكر عند كل آية ما يحضره من معان، ولا يكتفي بذكر ما يتعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة؛ ويعتمد إلى ذكر الآيات أحياناً. ويعد الكتاب من أفضل كتب التفسير؛ حيث يتميز بالعديد من المميزات منها السهولة، وتجنب الحشو والتطويل، وتجنب ذكر الخلاف، والسير على منهج السلف، ودقة الاستنباط، ومنها أنه كتاب تفسير و تربية.

. أهمية التفسير السعدي

• يد الأول يجب أن يكون عند المفسر هو الهداية لجميع الناس على اختلاف درجاتهم ومراكزهم.

• الاهتمام بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التي هي النبراس للخلق كلهم، ولا سيما التعامل مع أبناء دينه ومع أعدائه ولعل في هذا إشارة من الشيخ السعدي-رحمه الله- إلى الصراعات السياسية التي في عصره على امتداده، والولايات التي جرتها هذه الصراعات، فهو يريد أن يقول: اقتدوا بنبيكم في تعامله مع أبناء دينه ووطنه وفي تعامله مع أعدائه وجهادهم.

• وأخيرا الاهتمام بعلوم العربية ودلالاتها المتعددة.

. من المميزات التفسير التي يميز بها تفسير "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"

1. الوضوح والتيسير

ومن أوضح التفاسير وأقر بها منها إلى طالبي العلم تفسير العلامة الجليل "الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي" المسمى بـ "تفسير الكريم الرحمن في التفسير كلام المنان" فكان تفسيراً ميسراً سهلاً أجد فيه مؤلفه وانتهج منهاجاً وسطاً بين التطويل الممل واختصار المخل وبذلك كان مطابقاً لاسمه لفظاً ومعني سهلاً عظيم الفائدة.¹

2. بيان عقيدة أهل السنة:

¹ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 3

حيث إن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة لتفسير يعتنى به صاحبه إلى بيان عقائد أهل السنة وشرحها وبيان ما يتعلق بها، وما يثار حولها من شبهات، وما يستدل به بعض النحل، وبيان الحق الواضح والدواء الشافي بما يخلو كل شبهة، ويثبت كل حقيقة. والحق أن تفسير الشيخ السعدي- رحمه الله- أكمل وأجاد حيث بيان عقيدة أهل السنة والجماعة والأدلة عليها وبيان شبه المنحرفين والرد عليها ردا شافيا كافيا، ولا سيما في العصر الحديث.

3. ربط التفسير بالواقع المعاصر:

وهذه ميزة أكثر المفسرين المعاصرين ومنهم شيخنا السعدي- رحمه الله- حيث الربط أو تطبيق التفسير على المجتمع، وتوجيه الأمة إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه حسب توجيهات القرآن الكريم
ة من خلال آيات القرآن الكريم إلى علاج مشاكل المجتمع الإسلامي السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

4. عدم الخوض في التفسير العلمي:

فقد اعتنى به كثير من المفسرين في العصر الحديث فمنهم المفرط في ذلك والذي يجعل التفسير تابعا للنظريات العلمية وكأنها هي الأصل، ولكن الشيخ السعدي- رحمه الله- تعرض لهذا النوع من التفسير بشكل لا يكاد يذكر مع ما تناوله غيره من المفسرين المحدثين أما هو فقد تناول ، وإشارات خاطفة بين ثنايا التفسير التي تهدف إلى التدبر والتفكر في آيات القرآن، لا

لهدف التفسير والربط بين النص والنظرية.²

² الاتجاهات التفسير ص 182

5. اهتمامه بالنحو والبلاغة التي استقها من ابن القيم³ -رحمه الله- من كتاب بدائع الفوائد في النحو والبلاغة والتفسير.

6. العبر والعظات المستفادة من النصوص ولاسيما الأحداث الهامة والجليلة والقصص القرآن كأصحاب الكهف وقصة يوسف عليه السلام وقصة الجهاد في سورة البقرة..... الخ.

7. إثراء المكتبات الإسلامية بمثل هذه التفاسير يعطيها القيمة العلمية وانه لا يزال هناك عطاء متواصل في خدمة كتاب الله عز وجل بالإضافة إلى بيان جهود السابقين واللاحقين في خدمة الإسلام والمسلمين وأن كتاب الله لا تنفذ علومه على مر الدهور.

الثاني: مصادره في التفسير

لا شك أن كل مفسر من المفسرين ولا سيما المعاصرين ينقلون عن من سبقهم من المفسرين كابن تيميه والطبري وابن كثير وغيرهم، ولما كان الشيخ السعدي سلفي العقيدة فإنه يأخذ عن السلفيين أمثال ابن تيميه-رحمه الله- و ابن كثير الدمشقي و ابن القيم الجوزية وغير ذلك.

أولاً: مختصر تفسير ابن كثير: و قد اعتمد الشيخ السعدي على تفسير ابن كثير في كثير من الآيات منها:

1. عند تفسيره لقوله تعالى (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)⁴ ونحوها من الآيات دليل لمذهب اهل السنة والجماعة على ان النار موجودة الآن لقوله تعالى "اعدت" أى رصدت وهيئت،⁵ وقد ذكر ابن

³ ابن القيم: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (508-597 هـ) أبو الفرج علامة عصره في التاريخ والحديث مولده ووفاته ببغداد ونسبته إلى مشرعة الجوزي نحالها، له ثلاثمائة مصنف منها: تلقيح فهوم أهل الأثر والناسخ والمنسوخ، تلبس إبليس، مناقب عمر بن عبد العزيز (الأعلام: ج 3 ص 316).

⁴ سورة البقرة، الآية: 24

كثير-رحمه الله- جملة من الأحاديث الصحيحة والمتواترة في هذا المقام لم يتعرض لها السعدي لانتهاجه الإيجاز في التفسير.

2. الصفا والمروة ركن من أركان الحج

وذلك في قوله تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...) ⁶ يقول: هما معروفان"من شعائر أي أعلام دينه الظاهرة التي تعبد بها عباده وإذا كان من شعائر الله فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال(ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ). ⁷ و التقوى واجبة على كل مكلف وذلك يدل على أن السعي بها فرض لازم للحج والعمرة كما عليه الجمهور ودلت عليه الأحاديث النبوية وفعله النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خذوا عني مناسككم)، ⁸ ولكن الأحاديث لم يوردها هنا خوف الإطالة ولكن ابن كثير ذكرها في تفسيره.

ثانيا : شيخ الإسلام ابن تيمية

تأثر السعدي بإمامه ابن تيمية في العقيدة و المذهب و هذه نماذج تدل على ذلك:

1. في قوله تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ). ⁹

⁵ مختصر تفسير ابن كثير ج 1 ص 43-اختصار وتحقيق محمد الصابوني- المكتبة الفصيحة.

⁶ سورة البقرة، الآية: 158

⁷ سورة الحج، الآية: 32

⁸ الحديث: صحيح المسلم ج 2 ص 934 كتاب:الحج، باب: استحباب رمي الجمرة العقبة يوم النحر راكبا، عن جابر،

ح(1297)المكتب الإسلامي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مختصر تفسير ابن كثير ج 1 ص 145.

⁹ سورة البقرة ، الآية: 75

يقول: قال شيخ الإسلام: (فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة على ما أصله من البدع الباطلة وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وهو متناول لمن ترك سر تدبير القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه ومتناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله لينال به دنيا وقال: إنه من عند الله مثل أن يقول هذا هو الشرع والدين وهذا معني الكتاب والسنة وهذا معقول السلف والأئمة وهذا هو أصول الدين الذي يجب اعتقاده على الأعيان والكفاية و متناول لمن كتم ما عنده من الكتاب و السنة لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله وهذه الأمور كثيرة جدا في أهل الأهواء جميلة كالرافضة وتفصيلا مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء).¹⁰

ثالثا: تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى

1. حيث نقل عنه فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن من الكتاب "بدائع الفوائد" وقد نقل عن كتابه

سنة فصول في البلاغة و النحو وعلوم القرآن والفقه وغيره، كما اشتمل النقل على خمس فوائد

في النحو والبلاغة وعلوم القرآن، وفوائد استنبطها من الآيات.¹¹

2. نقل الشيخ السعدي-رحمه الله- عن إمامه الإمام شمس الدين ابن القيم في الهدي النبوي.¹²

وقال : (فإن فيها إعانة على فهم السورة وقد تكلم على معانيها وأسرارها)، والقصة التي نقلها عنه

هي قصة الحديدية في سورة الفتح ونظرا لكبرها وطولها.¹³

¹⁰ انظر تيسير الكريم الرحمن ج 1 ص 38

¹¹ بدائع الفوائد ج 2 ص 217 وما بعدها- ضبط وتخرىج أحمد عبد السلام- دار الكتب العلمية ط 1. 1414 هـ، تيسير

الكريم الرحمن ج 1 ص 14-20

¹² زاد المعاد في هدي خير المعاد ج 2 ص 122 وما بعدها - دار الكتاب العربي- دون تاريخ.

¹³ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 735.

مفاتيح الغيب لإمام فخر الدين الرازي:

وذلك عندما نقل عنه رأي عدم نسخ الوصية للوالدين والأقربين بالآية "لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا".¹⁴ أو بالحديث "إن الله أعطي كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث" وكان رأي الشيخ السعدي في ذلك مثل رأي الرازي القائل: أن الآية التي ذكرناها سابقا مفسرة أو مفصلة لما أجمل في الآية "الوصية". كما قال تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ.¹⁵

الفصل الثالث : أنواع التفسير التي اشتمل عليها تفسير السعدي

لقد اشتمل تفسير السعدي-رحمه الله- على أكثر من نوع من التفاسير المعروفة مثل التفسير الإجمالي و التحليلي والموضوعي حيث إن التفسير لا يخلو من نوع من هذه الأنواع. ولكن الإمام السعدي ركز في تفسيره على المعني لا على اللفظ فهو لا يهتم بالألفاظ والنحو والبيان كثيرا ولكنه يكرس جهده على بيان المعني المراد الذي يستفاد من كتاب الله تعالى وما فيه مصلحة المسلمين. ومن خلال الدراسة في تفسيره وجدنا أن أكثر تفسيره يشتمل على تفسير الموضوعي، ثم التحليلي وإجمالي.

أولا: التفسير الموضوعي:

¹⁴ سورة النساء، الآية :7

¹⁵ سورة البقرة، الآية : 180

ويقصد به: أن يجمع المفسر الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع واحد على مستوى القرآن كله أو

مجموعة من سورة "كالخواميم" مثلاً ويؤلف منها موضوعاً واحداً مترابط العناصر.¹⁶

نماذج من التفسير الموضوعي عند السعدي:

- :

1- قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا).¹⁷

قول السعدي: أي من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم أن جعل من صلاته عليهم، وثنائه، وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل إلى نور الإيمان، والتوفيق، والعلم، والعمل، فهذه أعظم نعمة. أنعم بها على العباد الطائعين، يستدعي منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله الذي لف بهم ورحمهم. وجعل حملة عرشه أفضل ملائكته، من حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فيقولون: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).¹⁸

فهذه رحمته ونعمته عليهم في الدنيا وأما رحمته بهم في الآخرة فأجل رحمة، وأفضل ثواب وهو الفوز برضا

¹⁶ المدخل إلى التفسير الموضوعي د. عبد الستار فتح الله سعيد ص 17 دار التوزيع والنشر الإسلامية- ط 1417 هـ 1991 م.

¹⁷ سورة الأحزاب، الآية: 43

¹⁸ سورة غافر، سآآية: 7-9

بهم، وتحيته، واستماع كلام الجليل، ورؤية وجهه الجميل، وحصول الأجر الكبير، الذي لا يدريه ولا يعرف كنهه، إلا أعطاهم إياه.¹⁹

- :

2- وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى).²⁰ حيث أراد أن يقرر من خلال الآيات واقعية عذاب القبر.

يقول السعدي: وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه، ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر. والثانية قوله تعالى: (... وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ...)،²¹ والثالثة قوله: (وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)،²² والرابعة قوله عن آل فرعون: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ).²³ والذي أوجب لمن فسرهما بعذاب القبر فقط من السلف، وقصرها على ذلك -والله أعلم- آخر الآية، وأن الله ذكر في آخرها عذاب يوم القيامة.²⁴ فهذا من ألون التفسير الموضوعي لأن السعدي جاء بالآيات العديدة التي تخدم موضوعا واحد وهو عذاب القبر ومن خلالها خرج بنتيجة من هذه الآيات بأن حياة البرزخ هي المقصودة بالعذاب قبل يوم القيامة، ونحن نوافق رأي السلف -رحمهم الله- في هذه

¹⁹ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 158.

²⁰ سورة طه، الآية: 124.

²¹ سورة الأنعام، الآية: 93.

²² سورة السجدة، الآية: 21.

²³ سورة غافر، الآية: 48.

²⁴ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 285. /2/ انظر مختصر بن كثير ج 2 ص 166.

المسألة وهناك آيات أخرى تدل على ذلك منها: (سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ).²⁵ فالمرّة الأولى للعذاب كما قال بعض المفسرين : عذاب القتل أو الموت في الدنيا، والمرّة الثانية عذاب القبر في البرزخ ثم يرد إلى العذاب العظيم وذلك يوم القيامة.²⁶

ثانياً: التفسير التحليلي:

وهو الذي يتبع فيه المفسر ترتيب المصحف فيشرح جملة من الآيات أو سورة أو القرآن كله على هذا النمط الموضوعي ويبين ما يتعلق بكل آية من مناسباتها، وسبب نزولها ومفرداتها ونحو ذلك مما يتقرر به معناها.²⁷

نموذج من التفسير التحليلي:

عند التفسير لقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).²⁸

يقول السعدي: معنى المفردات، قال في الصحاح: شريت الشيء أشريه شراء: إذا بعته وإذا اشتريته أيضاً وهو من الأضداد.²⁹ قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ)، أي يبيعها، وقال تعالى: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) أي باعوه: ومثله في القاموس، وهذه الآية نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أراده المشركون على ترك الإسلام، كما رواه ابن عباس وأناس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة غيرهم. وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة،

²⁵ سورة التوبة، الآية: 101.

²⁶ مختصر تفسير ابن كثير ج 2 ص 166، انظر فتح القدير ج 3 ص 392.

²⁷ المدخل إلى تفسير الموضوعي ص 16، التفسير الموضوعي د. صلاح الخالدي ص 27 دار النفائس 1318 هـ.

²⁸ سورة البقرة، الآية: 208.

²⁹ انظر لسان العرب لابن منظور الإفريقي ج 3 ص 2252.

منعه الناس أن يهاجر بماله، وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر، فتخلص منهم وأعطاهم ماله، فأُنزل الله هذه الآية، فتلقيه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة. فقالوا له: ربح البيع ربح البيع فقال: وأنتم، فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية. ويروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له "ربح بيع صهيب"،³⁰ وحدث أبو عثمان النهدي عن صهيب، والرواية بنحوها وقال حماد بن سلامة عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب، قال وذكر رواية أخرى بنحوها.

وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).³¹ و لما حمل هشام بن عامر³² بين الصفين، أنكر بعض الناس. فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما وتلوا هذه الآية "ومن الناس من يشري نفسه".³³

لذا رأينا أن الشيخ السعدي بدأ بشرح المفردات المتشابهة والتي تحوى الأضداد في لفظ واحد ثم سرد روايات أسباب النزول الثلاثة بأسانيدھا وهذا قل ما يورده وكذلك بآيات من القرآن الكريم وهذا هو التفسير التحليلي ونكتفي بهذا المثال لانه كاف واف.

³⁰ أخرجه أبو عبد الله الحاكم ت: 405 هـ في المستدرک ج 3 ص 450 باب: ذكر مناقب صهيب ح (5700) عن انس بن مالك، دار الكتب.

³¹ سورة التوبة، الآية: 111

³² هشام بن عامر: بن أمية بن الحسحاس بن مالك بن عامر بن غنم يقال كان اسمه شهابا فغيره رسوا الله، سكن البصرة ومات بها روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه ابنه سعد. وقد عاش هشام إلى دمن زياد "تهذيب التهذيب ج 11 ص 39 رقم 83.

³³ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 163-164.

وقد رصد الشيخ السعدي-رحمه الله- قاعدة هامة في تفسير القرآن وهي القاعدة الثانية "العبرة

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" فهذه الآيات إن نزلت في صهيبي رضي الله عنه إلا أنها تشمل كل

مجاهد يبيع نفسه ابتغاء مرضات الله- والله أعلم.³⁴

ثالثاً: التفسير الإجمالي

هو الذي يبين فيه المفسر خلاصة معني الآية أو الآيات التي يفسرها ويبرز مقاصدها وشرح

الدقيق من ألفاظها وسبب نزولها حتى يتقرر المعني العام بلا دخول في تفاصيل كثيرة.³⁵

نموذج من التفسير الإجمالي عند السعدي:

وذلك في التفسير لقصة بني إسرائيل وجهادهم الأعداء مع ملكهم طالوت: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ

مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ

اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، وَقَالَ لَهُمْ

نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ

الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).³⁶

³⁴ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، القواعد الحسن لتفسير القرآن، بيروت: دار الإستقامة. ص 6

³⁵ المدخل علي التفسير الموضوعي ص 17.

³⁶ سورة البقرة، الآية: 246-248.

يقول السعدي : يقص الله تعالى هذه القصة على الأئمة ليعتبروا ليرغبوا في الجهاد ولا يئكلوا عنه، فإن الصابرين صارت لهم العواقب الحميدة في الدنيا والآخرة، والناكلين خسروا الأمرين. فأخبر تعالى أن أهل الرأي من بني إسرائيل وأصحاب الكلمة النافذة، ترادوا في شأن الجهاد، واتفقوا على أن يطلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكا، لينقطع النزاع بتعيينه، وتحصل الطاعة التامة، ولا يبقى لقائل مقال. وأن نبيهم خشي أن طلبهم هذا مجرد كلام لا فعل معه. فأجابوا نبيهم بالعزم الجازم وأنهم التزموا ذلك التزاما تاما، وأن القتال متعين عليهم، حيث كان وسيلة لاسترجاع ديارهم، ورجوعهم إلى مقرهم ووطنهم.³⁷

وأنه عين لهم نبيهم طالوت ملكا يقودهم في هذا الأمر الذي لا بد له من قائد يحسن القيادة، وأنهم استغربوا تعيينه للوت، وثم من هو أحق منه بيتا وأكثر مالا. فأجابهم نبيهم : إن الله اختاره عليكم بما آتاه الله من قوة العلم بالسياسة، وقوة الجسم، اللذين هما آلة الشجاعة والنجدة، وحسن التدبير، والملك ليس بكثرة المال، ولا بكون صاحبه ممن كان الملك والسيادة في بيوتهم، والله يؤتي ملكه من يشاء.

ثم لم يكتف ذلك النبي الكريم بإقناعهم بما ذكر، من كفاءة الطالوت، واجتمع الصفات المطلوبة فيهم حتي قال لهم: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ). وكان هذا التابوت قد استولت عليه الأعداء. فلم يكتفوا بالصفة

³⁷ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص89

المعنوية في طالوت، ولا بتعيين الله له على لسان نبيهم، حتى يؤيد ذلك هذه المعجزة، ولهذا قال: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) فحينئذ سلموا وانقادوا.

فلما ترأس فيهم طالوت وصبرهم ورتبهم وفصل بهم إلى قتال عدوهم، وكان قد رأى منهم من ضعف العزائم والهمم، ما يحتاج إلى تمييز الصابر من الناكل قال: "إن الله مبتليكم بنهر" تمرّون عليه وقت الحاجة إلى الماء... ثم بين تعالى فائدة الجهاد فقال: (... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ)³⁸. باستيلاء الكفار والفجار، وأهل الشرك والفساد، ولكن الله بلطفه بالمؤمنين شرع بهاد لحفظ الناس والدين والأوطان والأموال والأبد، وأن المجاهدين ولو شقت عليهم الأمور، فإن عواقبهم حميدة، وكما أن الناكلين ولو استراحوا قليلا، فإنهم سيتعبون طويلا. ففي هذه القصة أعطانا الشيخ السعدي الخلاصة من معني الآيات دون الدخول في التفاصيل وبعض الفوائد من هذه القصة أعرضنا عنها صفحا لطولها.

وهذه القصة يجب ان يتعلم منها المسلمون في شتي بقاع الأرض وذلك لما فيها من تعاليم سامية، ومن ضوابط يجب أن تتوفر في القائد المسلم من العلم والحكمة وقوة البدن وقوة الدين والتعامل مع الأعداء في السلم والحرب. وكذلك الصفات التي يجب توافرها في الجنود من الصبر والتحمل وقوة العقيدة لأنهم سيواجهون المتاعب والجوع والعطش فلا بد لهم من تربية روحية إسلامية وذلك بالتقرب إلى الله عز وجل، كما قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ).³⁹

³⁸ سورة البقرة، الآية: 251

³⁹ سورة البقرة، الآية: 282

وما دام حكام المسلمين وولايتهم ووزرائهم يفقدون هذه الصفات فلن يصلوا بشعوبهم إلى بر الأمن أو إلى النصر المبين وسيطلون تحت حكم اليهود وإن كانوا في أوطانهم لأن الكلمة الأولى ولأخيرة لأعدائهم بل يستخدمون بلادهم لحرب إخوانهم.

رابعاً: التفسير المقارن:

هو الذي يتتبع فيه المفسر آية من القرآن أو جملة من الآيات ليتطلع آراء المفسرين، فيها ويقارن بين أقوالهم ويستخلص نتائج المقارنة سواء من معاني الآيات الكريمة، أو كلام المفسرين، وذلك كآيات الحج في سورتها، آية الصيام في سورة البقرة، إذا عرضت على أقوال المفسرين سلفاً وخلفاً، وفي كتب المأثور أو الرأي المحمود.⁴⁰

نموذج من التفسير المقارن:

قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا).⁴¹ يقول السعدي: "وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في تأويلها مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج والمعتزلة الذين يخلدوهم في النار ولو كانوا موحدين". والصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق: "شمس الدين ابن القيم" رحمه الله في المدارج، فإنه قال بعد ما ذكر تأويلات الأمة في ذلك وانتقدها فقال: وقال فرقة إن هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة وهو القتل العمد ولا

⁴⁰ المدخل إلى التفسير الموضوعي ص 17.

⁴¹ سورة النساء، الآية: 93.

يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود المقتضية وهو القتل وانتقاء موانعه من المكفرات وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتضي لها.⁴²

وقد قام الدليل على ذكر الموانع فبعضها بالإجماع وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع ما عدا حقوق أهل القتل والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا دفع لها والحسنات العظيمة ماحيه، والمصائب الكبرى مانعة وإقامة الحدود في الدنيا بالنص و لا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص.⁴³

الفصل الرابع : اتجاهه في التفسير

قال قريش شهاب⁴⁴ أن التفسير ينقسم إلى ستة اتجاهات اتجاه الأدبي، اتجاه الفلسفي، اتجاه العلمي، اتجاه الفقهي، اتجاه الصوفي، اتجاه الأدبي الاجتماعي. وقد تأثر المفسرون في تفسير القرآن بكل هذه اتجاهات على الخلفيات والميول من حيث تعمقهم في العلم من العلوم والبيئات والأماكن والأحوال حتي يكون لهم اتجاهات متعددة.

نظرا إلى الحركة العلمية في عصر السعدي أن تطور التعليم في عصره-رحمه الله - وبخاصة في مدينة الرياض، كان في العقد الخامس من عمره أي في الثالثة والأربعين من عمره. وحتى عام 1376هـ/1956م أي في العام الذي توفي فيه الشيخ السعدي كان التعليم بمدينة الرياض، مقتصرًا على الابتدائي ولم يكن هناك التعليم المتوسط ولا الثانوي. وبعد موت الشيخ السعدي افتتحت المدرسة المتوسطة ثم توالى المدارس حتى أصبح عددها "102" مدارس متوسطة.

⁴² السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 157

⁴³ انظر ابن كثير ج 1 ص 422-424 بالتفصيل، تيسير الكيم الرحمن ج 1 ص 387.

⁴⁴ شهاب، محمد قريش (1992م)، القرآن في الأرض الواقع. باندونغ: الميزان، ص 72-73.

ومن هذه الخلفيات رأت الباحثة أن الشيخ السعدي يميل إلى اتجاه الادبي الإجتماعي في تفسيره. لأن الفترة أو العصر الذي عاشه الشيخ السعدي-رحمه الله- كان مفعما بالصراع والحروب على مدي التسع والستين عاما الذي عاشه وقبل ذلك أيضا، وكله صراع على السلطة والحكم وإراقة الدماء وقطع الرحم وأواصر القرابة، وقتل الأخ أخاه من أجل الرئاسة.⁴⁵ فلذلك لا عزة ولا كرامة إلا بالرجوع إلى لإسلام وتعليمه الحكيمه، ثم التوحيد على كلمة واحدة ورواية واحدة، كما فعل الأوائل الذين أسلفونا، وصدق الله إذ يقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ).⁴⁶

كانت للحركة العلمية في عصر الشيخ السعدي أثر على اتجاهه في التفسير وذلك بأن استغني عن الحوض في المفردات اللغوية و الاقتصار على بيان المقصود من آيات القرآن وهو الهداية. وهو يهتم بالعلوم العربية ودلالاتها المتعددة. يقول-رحمه الله تعالى- عن ذلك فقال: "كثرت تفاسير الأمة- رحمهم الله- لكتاب الله تعالى فمنهم مطول خارج عن المقصود ومنهم مقتصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد و كان الذي ينبغي في ذلك ان يجعل المعني هو المقصود. كانت للحركة العلمية في عصر الشيخ السعدي أثر على منهجه في التفسير.

الفصل الخامس : منهجه في التفسير و تطبيقه ٤

عرض الشيخ السعدي لتفسير الآيات القرآنية، وشرح معانيه بأسلوب سهل واضح، لاليس فيه ولاغموض، ولاصعوبة ولا توغر في لغته التي استخدمها في تفسيره للقرآن الكريم. و تفسيره المسمى ب"

⁴⁵ الإعلام ج6ص244

⁴⁶ سورة الرعد، الآية: 11

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" فكان تفسيراً ميسراً سهلاً أجاد فيه مؤلفه وانتهج منهاجاً وسطاً بين التطويل الممل ولاختصار المخل وبذلك كان مطابقاً لاسمه لفظاً ومعناً سهلاً عظيم الفائدة.

نظراً إلى المنهج الذي سلكه السعدي في تفسيره أنه استهل تفسيره بذكر مجموعة من الفوائد القيمة لابن القيم-رحمه الله- من كتابه "بدائع الفوائد"، و أنه أفرد كتاباً مستقلاً احتوى على سبعين قاعدة مهمة في تفسير القرآن الكريم، و أنه ختم تفسيره بشرح أسماء الله الحسنى بعنوان: "فصل في شرح أسماء الله الحسنى بصورة مختصرة وقد تطرق إلى جميع المعاني التي يحملها الاسم الله تعالى.

ومن خلال قراءة الباحثة لمقدمة كتاب "التيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" أن الشيخ السعدي قال: "اعلم أن طريقي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرنى من معانها، ولا أكتفي بذكر ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة، لان الله وصف هذا الكتاب أنه "مثنى" ثني فيه الأخبار والقصص ولاحكام وجميع المواضع النافعة لحكم عظيمة، وأمر بتدبره جميعه لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف، وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمر كلها".⁴⁷ تبين للباحثة أن منهج السعدي في تفسيره كما يالى:

1) تفسير الآيات

2) بيان مناسبات بين الآيات

3) الاهتمام بأسباب النزول

4) الاهتمام بالعبر والعظات

⁴⁷ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 10

(5) الاستنباط بالقواعد الفقهية

(6) بيان الفوائد الفقهية (أحكام الفقهية) ودلالة عليها من السورة

وهذا تفصيل منهجه في التفسير:

المنهج الأول: تفسير الآيات.

كان الشيخ السعدي يفسر القرآن في تفسيره مباشرة إلى المعنى المقصود به، كما يقول-رحمه الله- عن ذلك فقال: كثرت تفاسر الأمة-رحمهم الله- لكتاب الله تعالى فمنهم مطول خارج عن المقصود ومنهم مقتصر يقتصر على حال بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه فينظر في سياق الكلام وما سبق لأجله ويقابل بينه وبين نظره.

قد بدأ الشيخ السعدي تارة في أول سورة بذكر معنى السورة ويفسر الآيات بالمعنى الحرفي أي

اللفظ الغريب ثم يفسره بمعنى العام.

نأخذ أمثلة تطبيقية على هذا منهج كما يلي:

المثال الأول: تفسير سورة الذهب

قال تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3)

وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ حَطَابٍ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5).⁴⁸

⁴⁸ سورة الذهب، الآية: 1-5

قال الشيخ السعدي في تفسير هذه السورة: (1) أبو لهب، هو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان شديد العداوة والأذية له، فلا دين له، ولا حمية للقرابة، فَبَّحه الله. فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو جزي عليه إلى يوم القيامة، فقال: (تبت يدا أبي لهب)، أي: خسرت يداه، وشقي (وتب) فلم يريح. (2) (ما أغني عنه ماله) الذي كان عنده، فأطغاه. (وما كسب) لم يرد عنه شيئا من عذاب الله، إذا نزل به. (3) (سيصلى نارا ذات لهب)، أي: ستحيط به النار من كل جانب، وهو (وامراته حمالة الحطب). وكانت أيضا شديدة الأذية لرسول الله، تتعاون هو وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول صلى الله عليه وسلم، وتجمع على ظهرها الأوزار، بمنزلة من يجمع حطباً، وقد أعد له في عنقه حبل (من مسد)، أي: من ليف. أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلاً من المسد، و على كل، ففي هذه السورة، آيات باهرة من آيات الله. فإن الله أنزل هذه السورة وأبو لهب وامراته لم يهلكا. وأخيراً أنهما سيعذبان في النار، ولا بد ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان. فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.⁴⁹

المنهج الثاني: بيان المناسبات بين الآيات

ألوان المناسبات في تفسير السعدي:

أولاً: المناسبة بين الآية وخاتمتها:

⁴⁹ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 866

1) في قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ).⁵⁰

يقول السعدي: "وتأمل حسن الاحتراز في هذه الآية الكريمة، لما ذكر عقوبة الغال، وأنه يأتي يوم القيامة بما غله، ولما أراد أن يذكر توفيته وجزاءه، وكان اقتصاره على الغال، يوهم- بالمفهوم- أن غيره من أنواع العاملين قد لا يوفون، أتى بلفظ عام جامع له ولغيره".⁵¹

2) جعل الإمام السعدي- رحمه الله- في تفسيره قاعدة خاصة في المناسبات بين الآية وخاتمتها وخص الخاتمة بالأسماء الحسيني حيث يقول: "يختتم الله الآيات بأسماء الله الحسيني، ليدل على أن الحكم المذكور له تعلق بتلك الاسم الكريم.

وهذه القاعدة لطيفة نافعة عليك يتبعها في جميع الآيات المحتومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتلك تدل على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتب بها وهذا باب عظيم في معرفة صفات الله ومعركة أحكام شرائعه، وهو من أجل المعارف و أشرف العلوم⁵². ثم استعرض كثيرا من الأمثلة على ذلك في كتابه (القواعد الحسن لتفسير القرآن).⁵³

ثانيا: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة:

⁵⁰ سورة آل عمران، الآية: 161

⁵¹ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 122

⁵² القواعد الحسن لتفسير القرآن.

⁵³ المصدر السابق.

في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)،⁵⁴ يقول

السعدي: "ما أحسن اتصال هذه الآية بالتي قبلها، فإنه تعالى لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، والمزيلة لكل شك. وذلك في قوله: (وَالْهَكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).⁵⁵

ثالثاً: المناسبة بين أول السورة وموضوعاتها:

وذلك في أول سورة النساء في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)⁵⁶.

يقول السعدي: (وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام و الأزواج

عموما ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل من أول السورة إلى آخرها). ونقصد هنا المناسبة بين

حقوق الله على عباده وتوزيع الموارث والتوصية بالنساء والأقارب واليتامى والمساكين... الخ.

رابعاً: المناسبة بين أول السورة وآخرها:

وذلك في مطلع سورة النحل مع آخرها حيث يقول-رحمه الله-: "هذه السورة تسمى سورة

النعم، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها".⁵⁷ كما قال تعالى:

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ،

⁵⁴ سورة البقرة، الآية: 165

⁵⁵ سورة البقرة، الآية: 163-164

⁵⁶ سورة النساء، الآية: 1.

⁵⁷ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 389

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ.⁵⁸ أي لأجلكم، ولأجل منافعكم ومصالحكم، ومن جملة منافعها العظيمة (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) مما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، من الثياب، والفرش، والبيوت. ولكم فيها منافع غير ذلك (وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)، (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) أي: في وقت رواحها وسكونه، ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جملها، لا يعود إليها منه شيء، فإنكم أنتم الذين تتحملون بها، بثيابكم، وأولادكم، وأموالكم، وتعجبون بذلك، (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ) من الأحمال الثقيلة، بل وتحملكم أنتم (إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) ولكن الله ذللها لكم. فمنها ما تركبونه، ومنها ما تحملون عليه ما تشاؤون من الأثقال، إلى البلدان البعيدة، والأقطار الشاسعة، (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ) إنه سخر لكم ما تضطرون إليه وتحتاجونه، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وسعة جوده وبره.

وهذه الآيات لها مناسبة بآية أخرى يعنى: (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ).⁵⁹ يأمر الله تعالى عباده بأكل ما رزقهم الله من الحيوانات، والجوب، والثمار وغيرها، (حَلَالًا طَيِّبًا) أي: حالة كونها متصفة بهذين الوصفين بحيث لا تكون مما حرم الله، أو أثراً من غضب ونحوه. فتمتعوا بما خلق الله لكم، من غير إسراف ولا تعدّ. (وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ بِالْاعْتِرَافِ بِهَا، بِالْقَلْبِ، والثناء على الله بها، وصرفها في طاعة الله. (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) أي إن كنتم مخلصين له العباد، فلا تشكر إلا إياه، ولا تنسوا المنعم.

⁵⁸ سورة النحل، الآية: 5-7.

⁵⁹ سورة النحل، الآية: 114.

خامساً: المناسبة بين اسم السورة ومقصدها:

ويتضح ذلك في سورة النجم، حيث يقول موضحاً المناسبة بين اسم السورة ومقصدها: وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء فكذلك الوحي وآثاره، زينة الأرض، فلولا العلم الموروث من الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من ظلمة الليل البهيم.⁶⁰

: مناسبة بين موضوع العام للسورة وخاتمتها:

وذلك في سورة هود-عليه السلام- حيث إن موضوع السورة العام هو قصص الأنبياء وإثبات أن القرآن عند الله لإحاطته بأخبار السابقين، و في نهاية السورة ذكر الحكمة سمن إيراد هذه القصص فقال: " لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء ما ذكر، ذكر الحكمة من ذكر ذلك فقال: (وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ).⁶¹

سابعاً: المناسبة بين كلمات السورة و المراد منها

حيث ذكر السعدي-رحمه الله- جملة من الفوائد في سورة يوسف عليه السلام، كفائدة رؤياه عليه السلام وذكر وجه المناسبة فيها فقال: " إن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها وبها منافعها،

⁶⁰ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 760.

⁶¹ سورة هود، الآية: 120

فكذلك الأنبياء والعلماء زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدي في الظلمات كما يهتدي بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمه، وإخوته هم الفرع فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نوراً وحرماً لما هو فرع عنه، فلذلك كانت الشمس أمه والقمر أباه والكواكب إخوانه.

ومن المناسبة: أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته، ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود له معظم محترم فلذلك دل على أن يوسف عليه السلام معظم محترم عند أبويه وإخوته، وأول رؤيا الملك للبقرات والسنبلات بالسنين المخصبة والسنين المجذبة، ووجه المناسبة أن الملك به ترتبط أحوال الرعية ومصلحتها وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السنون بما صلاح أحوال الرعية واستقامة أمر المعاش أو عدمه، وأما بقرة فإنها تحرث الأرض عليها ويسقي عليها الماء وإذا أخصبت السنة سمنت، وإذا أجذبت صارت عجافاً، وكذلك السنبال في الخصب، تكثر وتخضر وفي الجذب تقل وتيبس في أفضل غلال الأرض.⁶²

المنهج الثالث: اهتمامه بأسباب النزول.

نقصد به ما نزل بشأنه القرآن وقت نزوله كحادثة أو سؤال، وبذلك يخرج من التعريف ما حدث قبل البعثة من حوادث، كحادثة أصحاب الفيل. والعلم بأسباب النزول يساعد على فهم

⁶² السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 349.

مقصود. والقرآن الكريم وإزالة الأشكال وبيان حكمة التشريع، وتخصيص الحكم عند من يري أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

قال الواحدى⁶³: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على مقصدها وبيان نزولها، قال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"⁶⁴ ومن خلال تفسير الشيخ السعدي-رحمه الله- وجدناه قد تعرض لهذه العلوم وبخاصة سبب النزول مبينا معني الآية من خلاله، وذلك بإيراد سبب النزول بروايتين بسنديهما، ويذكر سبب النزول نقلا عن المفسرين كذلك وها هي بعض الأمثلة:

1. سبب النزول مختصرا: ذكر سبب نزول قوله تعالى (اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)⁶⁵، يقول ما نصه هذه الآية وإن نزلت في بني إسرائيل فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)⁶⁶، وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،⁶⁷ فكذا نحد أن السعدي-رحمه الله- قد ذكر سبب نزول الآية هنا على سبيل الاختصار وبالمعني وأكد أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

⁶³ الواحدى: علي بن أحمد بن محمد بن محمد أبو الحسن المفسر عالم بالأدب ت: سنة 468 بنيسابور لقبه الذهبي.

⁶⁴ الإطقان ج 2 ص 61-62.

⁶⁵ سورة البقرة، الآية: 44.

⁶⁶ سورة الصف، الآية: 2.

⁶⁷ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 796.

2. ذكر سبب النزول في قصة: في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ)،⁶⁸ قال: ذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين، وكانوا يقتلون على عادة الجاهلية فنزلت عليهم الفرق الثلاثة من فرق اليهود: بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع. فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه الذين يعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهود اليهودي ويخرجهم من دياره إذا حصل جلاء ونهب ثم إذا وضعت الحرب أوزارها وكان قد حصل أسرى بين الطائفتين فدي بعضهم بعضاً، وهكذا أورد السبب بقصة.

3. ذكر السبب بالنص: قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)،⁶⁹ يقول هذا جواب سؤال سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فقالوا يا رسول الله: أقریب ربنا فنناجیه أم بعید فننادیه فنزلت الآية (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي) وهنا أورد السبب بالنص.

4. وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)،⁷⁰ يقول السعدي: "هذه الآية نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أراده المشركون على ترك الإسلام كما رواه ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة غيرهم

⁶⁸ سورة البقرة، الآية: 84-85.

⁶⁹ سورة البقرة، الآية: 186.

⁷⁰ سورة البقرة، الآية: 207.

وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يجاهر بماله وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر زحف فتخلص منهم وأعطاهم ماله فأنزل الله فيه هذه الآية فتلقيه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقال له "ريح البيع ربح البيع" فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية،⁷¹ فهنا أورد السعدي سبب النزول بالمعني على هيئة القصة، ولكننا نجده يورد نفس السبب بطريقة أخرى وهي: ذكر النص بسنده وفي الأولى عدد الرواة، الذين رووا السبب فهذا يدل على تعدد طرقه في العرض، فهذه الرواية جمعت بين القصة وبين عدد الرواة من الصحابة والتابعين.

5. نقل سبب النزول عن المفسرين: ومن منهج السعدي أيضا في إيراد سبب النزول أنه ينقله عن المفسرين. ومثاله قوله تعالى: (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ)⁷² قال-رحمه الله- وذلك أن هذه الآيات الكريمة قد ذكر المفسرون أن سبب نزولها أن أهل بيت سرقوا في المدينة. فلما اطلع على سرقته، خافوا الفضيحة، وأخذوا سرقته، فرموها ببيت من هو برئ من ذلك، واستعان السارق بقومه، أن يأتوا رسول الله ويطلبوا منه أن يبرئ صاحبهم، على رؤوس الناس. وقالوا: إنه لم يسرق، وإنما الذي سرقة من وجدت السرقة ببيته، وهو البريء. فهم رسول الله أن يبرئ صاحبهم. فأنزل الله هذه الآيات، تذكيرا وتبيانا لتلك الواقعة، تحذيرا للرسول، من المخاصمة

⁷¹ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 77.

⁷² سورة النساء، الآية: 112-113.

عن الخائنين. فإن المخاصمة عن المبطل، من الضلال. فإن الضلال نوعان: ضلال في العلم وهو الجهل بالحق، وضلال في العمل وهو العمل بغير ما يجب. فحفظ الله رسوله عن هذا النوع من الضلال كما حفظه عن الضلال، في الأعمال.⁷³

المنهج الرابع: الإهتمام بالعبر والعظات

وذلك باستخلاص الأحكام والعبر والعظات المستوحاة من الآيات أو القصص أو الأحكام القرآنية، وأدل شيء على ذلك في تفسير السعدي. العبر والعظات والدروس التي استخلصها من قصة يوسف عليه السلام، حيث بلغت أربعاً وأربعين فائدة. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

كتبت الباحثة العبر والعظات في قصة يوسف عليه السلام في بعض الآيات، كقوله تعالى: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ (3) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6).⁷⁴

العبر والعظات من هذه القصة يعني:

⁷³ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 165.

⁷⁴ سورة يوسف، الآية: 1-6.

1. فمن ذلك أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها لما فيها من أنواع التنقلات من حال إلى حال، ومن محنة إلى منحة ومنة، ومن حزن إلى سرور، ومن ذل إلى عز، ومن رق إلى ملك ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن رخاء إلى جذب، ومن جذب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة...الخ.

2. ومنها أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا).⁷⁵

3. ومنها أن العدل مطلوب في كل الأمور ليس من السلطان فقط، وإنما من الوالد مع أولاده في محبة والإتيان، ولهذا لما قدم يعقوب يوسف في المحبة والإتيان جرى منهم ما جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم.⁷⁶

المنهج الخامس: بيان الفوائد الفقهية والدلالة عليها من السورة.

وذلك في النفس المثل السابق حيث استنتج القواعد المهمة منها:

1. أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم، فإن يعقوب عليه السلام قال لأولاده: (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا)،⁷⁷ وقال لهم في الأخ الآخر: (قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ بِهِ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ).⁷⁸

2. استعمال المكاييد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وإن العلم بالطريق الخفية الموصلة إلى مقاصدها، مما يحمد عليه العبد، وإنما ممنوع التحايل على إسقاط واجب، أو فعل محرم.

⁷⁵ سورة يوسف، الآية: 5

⁷⁶ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 349.

⁷⁷ سورة يوسف، الآية: 18.

⁷⁸ سورة يوسف، الآية: 64.

3. إنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره بأمر، لا يجب لأحد أن يطلع عليه أن يستعمل المعارض

القولية والفعلية، والمعان من الكذب. كما فعل يوسف حيث ألقى الصواع في رحل أخيه موهما

أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوانه، فقال بعد ذلك: (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا

مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ)،⁷⁹ ولم يقل: "من سرق متاعنا"، وكذلك لم يقل: (إِلَّا

مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ) بل أتى بكلام عام، يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور وإنما فيها

إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر وأن يبقى عنده أخوه وقد زال عن الأخ هذا

الإيهام.⁸⁰

المنهج السادس: الاستنباط القواعد الفقهية من خلال الآيات.

وذلك عند تفسيره لقصة موسى عليه السلام مع الخضر قال: ومنها القاعدة الكبيرة الجليلة

وهي:

1. "ارتكاب أخف الضررين أو المفسدين" فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يكبر ويفتن

أبويه عن دينهما أعظم شرا منه، فبقاء الدين أولى من بقاء الغلام.

2. "الضرورات تبيح المحظورات" بلا إذن صاحبها، وذلك كما حرق الخضر السفينة، فتسلم من

غضب الملك الظالم، فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما في دار إنسان أو ماله وكان

⁷⁹ سورة يوسف، الآية: 79.

⁸⁰ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 359.

إتلافه بعض المال أو هدم بعض الدار فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع ذلك حفظاً

لمال الغير ولو بغير إذنه.⁸¹

3. " من ترك شيئاً لله عوضه الله خير منه " فسلیمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة

للنفوس تقدبها لمحبة الله، فعوضه الله خير من ذلك، بأن سحر له الريح الرحاء اللينة، والتي تجري

بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر وروامها شهر، وسخر له الشياطين، أهل القدرة على

الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها الآدميون.

الفصل السادس: بعض أفكار الشيخ

1. موقفه من العقيدة

لقد وقف الشيخ السعدي من الأسماء والصفات الواجبة لله تعالى موقف أهل السنة والجماعة

وهو: إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتتها لنفسه وأثبتها رسول الله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا

تشبيه. فمن صفة الكلام قال: عند تفسير لقوله تعالى: (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ)،⁸² في هذه الآية من العبر والآيات، إثبات الكلام لله تعالى، وأنه لم يزل متكلماً يقول ما يشاء

الله ويتكلم بما شاء. وعن معرفة الوجه: في قوله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ)،⁸³ بقوله: فيه إثبات الوجه لله تعالى على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجهاً لا يشبه الوجه

وهو تعالى واسع الفضل وعظيم الصفات.

⁸¹المصدر السابق

⁸² سورة البقرة، الآية: 33.

⁸³ سورة البقرة، الآية: 115.

2. موقفه من التفسير العلمي:

لم يشر السعدي-رحمه الله- إلى رأيه في التفسير العلمي، وإنما تحدث بصفة عامة عن بعض القواعد في الطب من خلال تفسير لبعض الآيات، وكذلك مقتطفات من علم الفلك في مواضع متناثرة في تفسيره، فهو غير مكثّر من هذا النوع من التفسير، هذا شأنه في كثير من الأمور لأن مقصده- كما قلنا- في وجه الهداية أولاً في القرآن الكريم. المثال منه: لقد تحدث السعدي عن

العلم الطب وقواعده عند تفسيره لآية الصلاة في سورة النساء وذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا).⁸⁴

يقول تحت عنوان "فائدة":

اعلم أن قواعد الطب تدور على ثلاثة قواعد: حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحماية عنها، وقد نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز أما حفظ الصحة والحماية عن المؤذي، فقد أمر بالأكل والشرب وعدم الإسراف في ذلك، وأباح للمسافر والمريض الفطر حفظاً لصحتهما باستعمال ما يصلح البدن على وجه العدل وحماية للمريض عما يضره، وأما استفراغ المؤذي، فقد أباح تعالى للمحرم

⁸⁴ سورة النساء، الآية: 42.

المتأذي برأسه، أن يحلقه لإزالة الأبخرة المحتقنة فيه. ففيه تنبيه على استفراغ ما هو الأولى منها من البول والغائط والقيء والمعني والدم وغير ذلك، نبه على ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى.

فقد أشار السعدي في المثال الأول إلى قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ)،⁸⁵ وفي المثال الثاني إلى قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ).⁸⁶ وقد جعل السعدي هذه القاعدة من ضمن القواعد التي يجب مراعاة المفسر لها عند تفسيره لكتاب الله.

3. موقف الشيخ السعدي من الروايات الإسرائيلية

إن المتتبع لرأي الشيخ السعدي في تفسيره للروايات الإسرائيلية يجد أنه شديد الحذر مع التعامل معها ولا ينصح بأي حال من الأحوال الأخذ بها إلا ما روى بطريق صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورفض حتى ما جوزه الشرع بعدم التصديق والتكذيب إلى بيان منهجه. يقول السعدي: "واعلم أن كثيرا من المفسرين-رحمه الله- قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل ونزلوا عليها الآيات القرآنية وجعلوها تفسيرا لكتاب الله محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".⁸⁷

والذي أراه أنه إن جاء نقل أحاديثهم على وجه، تكون مفردة غير مقرونة ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتابه الله قطعاً، إذا لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

⁸⁵ سورة الأعراف، الآية: 31.

⁸⁶ سورة البقرة، الآية: 196.

⁸⁷ الحديث في صحيح البخاري ج 3 ص 275 عن عبد الله بن عمرو باب من ذكر عذنب بني إسرائيل ح 3274.2

وذلك أن مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به، والقطع بألفاظه ومعانيه. فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها معاني لكتاب الله مقطوعا بها ولا يستدل بها أحد ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق. وخالفه صاحب تفسير "بجر العلوم" فأكثر منها.

المقصود من هذا: أن الشيخ السعدي لا يجوز الأخذ عن أهل الكتاب، إلا ما كان صحيحا عن صحابي، أما القسم الثالث وهو: الإمساك عنها بعدم الصدق أو الكذب فلا يجعلها من تفسير القرآن بشيء رغم الجواز بالأخذ عنها.

4. موقف الشيخ السعدي بالقضايا المعاصرة وعلاجها:

والمقصود بها: على سبيل المثال: قضية الجهاد في الوقت الحاضر، ودور المساجد في نشر الدعوة الإسلامية. وعلاقة الدول ببعضها البعض وغير ذلك.

: :

قال تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ).⁸⁸

يقول السعدي: فإن قلت: نرى الآن مساجد المسلمين عامرة لم تخرب مع أن كثيرا منها إمارة صغيرة، وحكومة غير منظمة، مع أنهم لا بد لهم بقتال من جاورهم من الإفرنج، بل نرى المساجد التي تحت ولايتهم وسيطرتهم عامرة وأهلها آمنون مطمئنون مع قدرة ولائهم من الكفار على هدمها، والله

⁸⁸ سورة الحج، الآية: 40.

أخبر أنه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت هذه المعابد، ونحن لا نشاهد دفعا، أجيب: بأن جواب هذا السؤال والاستشكال، داخل في عموم هذه الآية، وفرد من أفرادها فمن عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعبير كل جنس آخر تحت ولايتها جزءا منها وعضوا من أعضاء المملكة، فتراعي الحكومة مصالح هذه الأمة الدينية والدنيوية، وخاصة المساجد خوفا من احتلال نظامها، وإن كانت من الدول الكبار مع وجود التحاسد والتباغض بين النصارى وذلك في قوله تعالى: (فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).⁸⁹ فبقي الحكومة المسلمة، التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها سالمة من ضررهم، لقيام الحسد فيما بينهم، فلا يقدر أحد الاعتداء على المسلمين خوفا من الإلتجائم لدولة أخرى، مع أن الله تعالى قد وعد عباده المؤمنين بالنصر وقد ظهرت أسبابه بشعور المسلمين بضرورة رجوعهم إلى دينهم والحمد لله.⁹⁰

نقول: أي أن الله تعالى يسخر بعض خلقه من الكفار، لحماية أمور المسلمين أو مساجدهم، أو ر ال الأمة المجاهدين، وأن الأعداء يقومون بحماية الجاليات الإسلامية عندهم لمصلحتهم، وليس لمصلحة المسلمين وذلك لدوام سلطاتهم ولوجود المنافسة على الرياسة في الدنيا مثل: أمريكا و روسيا.

ثانيا: ضرورة الجهاد للأمة

قال تعالى: (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ).⁹¹

⁸⁹ سورة المائدة، الآية: 14.

⁹⁰ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 188.

⁹¹ سورة البقرة، الآية: 251.

يقول السعدي: وفي هذه القصة "طالوت وجالوت" عبر كثير من الأمة منها: فريضة الجهاد في سبيله، وفوائد وثمراته وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين والأوطان وحفظ الأبدان والأموال. وأن المجاهدين مهمالاقوا من الشدائد، فإن عاقبتهم حميدة كما أن القاعدين والمتخلفين مع استراحتهم، فإن عاقبتهم وخيمة ومنها: انتداب الرئاسة لمن فيه الكفاءة وهي علم السياسة والتدبير والقوة التي تساعد للوصول إلى هدفه ومن اجتمعت فيه هذه الشروط، فهو أحق من غيره، لأن الرئاسة في الإسلام مقام تكليف وليس مقام تشریف، وجمع أموال. ومنها نفقد الجيوش عند خروجها، وذلك بمنع من لا يصلح للقتال من رجال وركاب لضعفهم أو ضعف صبرهم، أو تثبتهم لغيرهم، فهذا ضرر محض على الأمة، ومنها: أنه عند حضور البأس والحرب سينبغي تقوية المجاهدين وحثهم على الإثبات والصبر والتوكل على الله⁹².

ثانيا: التدخين

قد تناول الشيخ السعدي مسألة التدخين وحرمة ذلك في رده على سؤال سأل عليه علي الحمد الصالحی، فنشرها للإفادة منها وخوفا من إثم كتمان العلم. نص الرسالة: " من الولد علي الحمد الصالحی: إلى فضيلة الشيخ المكرم عبد الرحمن الناصر السعدي، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أرجوكم الإفادة عن حكم شرب الدخان، والاتجار به على وجه التوضيح هل هو حرام أو مكروه؟ أفتونا مأجورين. الجواب: وبالله التوفيق نسأله الهداية لنا ولإخواننا المسلمين أما الدخان شربه والاتجار به والإعانة على ذلك فهو حرام، لا يحل لمسلم تعاطيه شربا واستعمالا واتجارا، وعلى من كان

⁹² السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 90.

يتعاطاه أن يتوب إلى الله توبة نصوحا، كما يجب عليه أن يتوب من جميع الذنوب، وذلك أنه داخن في عموم النصوص الداخلة على التحريم في لفظها العام، وذلك لمضاره الدينية والبدنية والمالية التي يكفي بعضها في الحكم بتحريمه، فكيف إذا اجتمعت؟ ثم فصل تلك المضار بادئا بالمضار الدينية ودلالة النصوص على منعه وتحريمه.⁹³

الأدلة النصية: قوله تعالى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)،⁹⁴ وقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا).⁹⁵

ومن مضاره الدينية أنه يثقل على العبد العبادات والقيام بالمأمورات، خصوصا الصيام وكذلك يدعو إلى مخالطة الأراذل، ويزهد في مجالسة الأخيار، وهذا من أعظم النقائص أن يكون العبد مؤالفا للأشرار متباعدا عن الأخيار ويترتب على ذلك العداوة لأهل الخير، والبغض لهم والقدح فيهم، والزهد في طريقهم ومتى ابتلى به الصغار والشباب سقطوا، ودخلوا في مداخل قيمة وكان ذلك عنوانا على سقوط أخلاقهم، فهو باب الشرور كثيرة، فضلا على ضرره الذاتي.

ومن مضارة البدنية:

يوهن القوة ويضعفها، ويضعف البصر وله سريان ونفوذ في البدن والعروق، فيوهن القوي، ويمنع الانتفاع الكلي بالغذاء ومنها: القلب واضطراب الأعصاب وفقد شهية الطعام، ومنها السعال والنزلات الشديدة التي ربما أدت إلى الاختناق وضيق التنفس والأمراض الصدرية مثل السل وتوابعه، وله أثر

⁹³ المرجع، ناصر عبد السلام (1423هـ/2002م)، رسالة المحسن "منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي في التفسير"، ص

⁹⁴ سورة الأعراف، الآية: 157.

⁹⁵ سورة النساء، الآية: 29.

محسوس في مرض السرطان بالإضافة إلى تسويد الشفتين والأسنان وسرعة بلائها وتحطمها وتاكلها بالسوس وانحيار الفم والبلعوم، ومداخل الطعام والشرب حتى يجعلها كاللحم المنهار المحترق، تتألم مما لا يُتألم منه.

وأما مضارة المالية:

قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهي عن إضاعة المال،⁹⁶ و أي إضاعة أبلغ من حرقه في هذا الدخان، الذي لا يسمن ولا يغني من الجوع، ولا نفع فيه بوجه من الوجوه، حتى إن كثيرا من المنهمكين فيه يغمون فيه الأموال الكثيرة، وربما تركوا ما يجب عليهم من النفقات الواجبة، وهذا انحراف محطم وصرف جسيم مضر في المال، وفي الأمور التي لا نفع فيها منهي عنه، فكيف بصرفه شيء محقق ضرره؟ ولما كان الدخان بهذه المثابة مضر بالدين والبدن والمال، كانت التجارة فيه محرمة وتجارته بائرة غير رابحة، وقد شاهد الناس أن كل متجر فيه - وإن استدرج ونما ماله في وقت ما - فإنه يُبتلى بالقلّة في آخر أمره، وتكون عواقبه وخيمة.⁹⁷

5. موقف الشيخ السعدي في مسألة الفقهية

المثال منه في مسألة الصلاة عند الشيخ السعدي: لا شك أن الصلاة عمود الدين وأنها عنوان أعمال العباد يوم القيامة، وأول ما يسأل عنها الإنسان، فإن صحت صح ما بعدها، وإن فسدت فسدت

⁹⁶ صحيح البخاري ج6 ص2658، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكليف ما لا يعنيه، ح(6862) عن المغيرة رضي الله

عنه.

⁹⁷ رسالة في حكم شرب الدخان - الشيخ عبد الرحمن السعدي ص - بتصرف، نقلتم: عبد الرزاق عفيقي.

بعدها، لذلك اهتم الشيخ السعدي اهتماما كبيرا وركز على أركانها وهيئاتها، وأثارها على أفعال العباد.

أولا: صلاة الجماعة فرض عين على كل مسلم:

أ- وذلك في قوله تعالى: (وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ).⁹⁸

يقول السعدي: ثم قال (وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ) أي ظاهرا و باطنا (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ) أي صلوا مع المصلين فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسول الله وآيات الله فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة، والباطنة، وبين الإخلاص للمعبود. وقوله (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ) أي صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة، لأنه عبر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فريضته فيها، كما عبر عن الفاتحة بالصلاة.⁹⁹

مناقسة هذا الرأي و الرد عليه:

إن الرأي السعدي بفريضة الجماعة رأي المرجوح، لأن هذا يقتضي أن أكثر الصلاة الناس باطلة، ولأنه جاء في الحديث الصحيح: (الصلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ¹⁰⁰ بسبع وعشرين درجة.¹⁰¹ و في رواية أخرى، خمس وعشرين درجة).¹⁰² فلو كانت صلاة الجماعة فرض لما كان للتفضيل بينها فائدة تذكر، لأن الباطل لا يفاضل مع غيره، فدل على أن صلاة الفرد مقبولة بشروطها

⁹⁸ سورة البقرة، الآية: 43.

⁹⁹ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 33.

¹⁰⁰ الفذ: الفرد وجمعه أفذاذ (انظر لسان العرب ج3 ص502).

¹⁰¹ صحيح البخاري ج 1 ص 231 كتاب الجماعة وإمامة باب الوجوب الصلاة الجماعة ج(619) عن عبد الله بن عمر

رضي الله عنهما.

¹⁰² نفس المصدر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لكن صلاته في الجماعة أفضل بسبعين وعشرين درجة، لما فيها من ثواب الخطوات إلى المسجد وإعمار بيت الله وشهود الصلاة مع الناس، والحديث المذكور الصحيح فلا يلتفت إلى غيره من الأحاديث التي تدل ظاهراً على فريضة الجماعة.

ثانياً: الصلوات الخمس في آية واحدة:

وذلك في قوله تعالى: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا).¹⁰³

يقول: يأمر تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بإقامة الصلاة تامة ظاهراً أو باطناً في

أوقاتها (لِذُلُوكِ الشَّمْسِ) :نحاً إلى الأفق الغربي بعد زوال، فيدخل بعد ذلك الصلاة الظهر

والعصر (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) أي: ظلمه، فدخل في ذلك صلاة المغرب والعشاء (قُرْآنَ الْفَجْرِ) أي: صلاة

الفجر، وسميت قرآناً لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، لفضل القراءة فيها، حيث يشهدها الله،

وملائكة الليل والنهار، ففي هذه الآية ذكر المواقيت الخمسة للصلوات المكتوبة، وأن الصلوات الواقعة

¹⁰³ سورة الإسراء، الآية: 78-79.

فيها فرائض، لتخصيصها بالأمر. ثم ذكر الفوائد من الآية. فيقول: "وفيه: فضيلة الصلاة الفجر و فضيلة القراءة فيها ركن، لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها دل على فريضة ذلك".¹⁰⁴

:

إن قوله: وإن القراءة فيها ركن قول غامض أو مبهم، لأن إذا أراد بالقراءة هنا "الفاتحة"، فهي واجبة وركن في جميع الصلوات، وليس في الفجر فقط، وإن أراد بالقراءة ما بعد الفاتحة فليس هي بالفرض، ولكن للنذب والاستحباب.

الخلاصة: مما سبق يتضح لنا أن الشيخ السعدي-رحمه الله- ركز على موضوع الصلاة من حيث أنها صلة بين العبد وربه وأن من حافظ عليها، فهو لما سواها يحفظ، والعكس صحيح. ليس أي صلاة، ولكن يعني بالصلاة التي يحافظ فيها على الأركان والسنن والخشوع، واستحضار القلب مع دخول الوقت.

6. موقف الشيخ السعدي في رد على المخالفي ن لأهل السنة والجماعة .

عرفنا من قبل أن السعدي-رحمه الله- قد سلك مسلك أهل السنة والجماعة في عقيدتهم، ولذلك من اللازم أن يتصدى لمن خالف هذه العقيدة الصحيحة بكل ما أوتي من قوة، ومن هذه الطوائف التي تصدي لها السعدي: الأشاعرة والمعتزلة والخوارج، ونبدأ من الأول الذي يرد فيه على الأشاعرة.¹⁰⁵

¹⁰⁴ انظر فتح القدير ج3 ص251 انظر ج4 ص80.

¹⁰⁵ ناصر، العبد سليم المرنج (1422هـ/2002م)، منهج الشيخ السعدي في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام

المنان" ص174

أولاً: الرد على الأشاعرة.

الأشاعرة: هم فرقة أثبت الله الأسماء، وبعض الصفات، ونفوا أكثرها، وردوا ما استطاعوا من النصوص وحرفوا ما لم يمكنهم رده وسموا ذلك التحريف تأويلاً. فأثبتوا الله سبع صفات: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر. على خلاف بينهم وبين السلف في كيفية إثبات بعض هذه الصفات، وشبهتهم فيما ذهبوا إليه أن إثبات ما نفوه يستلزم التشبيه، أو التمثيل، أما ما أثبتوه من الصفات فقالوا: إن العقل قد دل عليها.

وذلك في قوله تعالى: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.¹⁰⁶

يقول السعدي: لا تدركه الأبصار لعظمته وجلاله وكماله، أي لا تحيط الأبصار به، وإن كانت تفرح برؤيته في الآخرة، ونفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يشبها بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على الرؤية ثابتة. فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال: (لا تراه الأبصار) ونحو ذلك. فعلم أنه ليس في الآية، حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربه في الآخرة. بل فيها ما يدل على نقيض قولهم.¹⁰⁷

وفي قوله تعالى: ... قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانيْ وَلَكِنْ اَنْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنْ اسْتَقرَّ

مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانيْ...¹⁰⁸

¹⁰⁶ سورة الأنعام، الآية: 103

¹⁰⁷ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 230

¹⁰⁸ سورة الأعراف، الآية: 146

يقول السعدي: (لن تراني) أي في الدنيا، لأنه الخلق لا يقدر على رؤية الله في الدنيا، لأن تركيبهم الجسماني لا يحتمل الرؤية، وليس في هذا دليل على عدم الرؤية، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة يقدر على رؤيتها الله تعالى. ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فلما اندك الجبل ولم يقدر على رؤيته الله تعالى، كان موسى أولى بعدم الرؤية لضعفه.¹⁰⁹

ثانيا: الرد على المعتزلة

المعتزلة: هم فرقة من المعطلة يثبتون الله تعالى الأسماء دون الصفات، ويجعلون الأسماء أعلاما محضة، ثم منهم من يقول بأنها مترافاة فالعليم والقدير والسميع والبصير شيء واحد، ومنهم من يقول بتباينها، ولكنه عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، وسميع بلا سمع، بصير بلا بصر ونحو ذلك وشبهتهم أنهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم والأجسام متماثلة، فإثبات الصفات يستلزم التشبيه.

وذلك في قوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ).¹¹⁰

¹⁰⁹السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 265

¹¹⁰سورة التوبة، الآية: 6

يقول السعدي: وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأن الله تعالى هو المتكلم به وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم أن القرآن مخلوق.¹¹¹

ثالثاً: الرد على الخوارج

الخوارج: هم الذين خرجوا على علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في مسألة التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، وكان النائب عن علي أبو موسى الأشعري وعن معاوية وعمرو بن العاص. وقد وردت أحاديث في ذم الخوارج، وقد كفروا علياً، وقد ظهروا في الفتنة الأولى (مقتل عثمان رضي الله عنه قد غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه).

وذلك في قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا).¹¹²

يقول السعدي: وقد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى في تأويلها مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج والمعتزلة الذين يخلدونها في النار وذلو كانوا موحدين. والصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق "شمس الدين ابن القيم" رحمه الله في المدارج، فإنه قال بعد ما ذكر تأويلات الأئمة في ذلك وانتقدها فقال: "وقد قام الدليل مع ذكر الموانع فبعضها بالإجماع وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع،

¹¹¹السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 290

¹¹²سورة النساء، الآية: 93

والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا دافع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل النصوص هذه فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين.¹¹³

¹¹³ السعدي، عبد الرحمن (1419هـ/1998م)، المرجع السابق، ص 157